ومن يمنعك من الحجاب

هويدا إسماعيل
دار القاسم

أحمد الله تعالى كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأصلي وأسلم على رسوله الكريم الذي رسم الطريق إلى رضوان الله وجنته.

فكان ذلك الطريق مستقيماً، تحف جنباته الفضيلة، ويحفل بطيب الأخلاق، ويزدان بزينة الطهر والستر والعفاف.

وكان طريقاً يقود شقّي المجتمع الإنساني (الرجل والمرأة) إلى مرافئ الاطمئنان والسعادة في الدنيا والآخرة.

فكان من ذلك: أن أوجب المولى (تبارك وتعالى) على المرأة الحجاب؟ صوناً لعفافها، وحفاظاً على شرفها، وعنواناً لإيمانها.

من أجل ذلك كان المجتمع الذي يبتعد عن منهج الله ويتنكب طريقه المستقيم: مجتمعاً مريضاً يحتاج إلى العلاج الذي يقوده إلى الشفاء والسعادة.

ومن الصور التي تدل على ابتعاد المجتمع عن ذلك الطريق، وتوضح - بدقة - مقدار انحرافه وتحلله: تفشي ظاهرة السفور والتبرج بين الفتيات.

وهذه الظاهرة نجد أنها أصبحت - للأسف - من سمات المجتمع الإسلامي، رغم انتشار الزي الإسلامي فيه، فما هي الأسباب التي أدت إلى هذا الانحراف؟

للإجابة على هذا السؤال الذي طرحناه على فئات مختلفة من الفتيات كانت الحصيلة: عشرة أعذار رئيسة، وعند الفحص والتمحيص بدا لنا كم هي واهية تلك الأعذار !

معاً أختي المسلمة نتصفح هذه السطور؟ لنتعرف - من خلالها - على أسباب الإعراض عن الحجاب، ونناقشها كلاً على حدة:

العذر الأول:

قالت الأولى: (أنا لم أقتنع بعد بالحجاب).

نسأل هذه الأخت سؤالين:

الأول: هل هي مقتنعة أصلاً بصحة دين الإسلام؟

إجابتها بالطبع نعم مقتنعة؟، فهي تقول: (لا إله إلا الله)، ويعتبر هذا اقتناعها بالعقيدة، وهي تقول: (محمد رسول الله ﷺ)، ويعتبر هذا اقتناعها بالشريعة، فهي مقتنعة بالإسلام عقيدةً وشريعةً ومنهجاً للحياة.

الثاني: هل الحجاب من شريعة الإسلام وواجباته؟

لو أخلصت هذه الأخت وبحثت في الأمر بحث من يريد الحقيقة لقالت: نعم. فالله تعالى الذي تؤمن بألوهيته أمر بالحجاب في كتابه، والرسول الكريم ﷺالذي تؤمن برسالته أمر بالحجاب في سنته.فماذا نسمي من يقتنع بصحة الإسلام ولا يفعل ما أمره الله - تعالى به ورسوله الكريم؟، هو على أي حال لا يدخل مع الذين قال الله فيهم: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[النور:51].

خلاصة الأمر: إذا كانت هذه الأخت مقتنعة بالإسلام، فكيف لا تقتنع بأوامره؟

العذر الثاني:

قالت الثانية: (أنا مقتنعة بوجوب الزي الشرعي، ولكن والدتي تمنعني لبسه، وإذا عصيتها دخلت النار).

يجيب على عذر هذه الأخت أكرم خلق الله رسول الله ﷺ، بقول وجيز حكيم: **{** لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق **}**.

مكانة الوالدين في الإسلام - وبخاصة الأم - سامية رفيعة، بل الله تعالى قرنها بأعظم الأمور - وهي عبادته وتوحيده - في كثير من الآيات، كما قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾ [النساء:36].

فطاعة الوالدين لا يحد منها إلا أمر واحد هو: أمرهما بمعصية الله؟، قال تعالى ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ﴾[لقمان:15].

ولا يمنع عدم طاعتهما في المعصية في الإحسان إليهما وبرهما قال تعالى: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً ﴾[القمان:15].

خلاصة الأمر: كيف تطيعين أمك وتعصين الله الذي خلقك وخلق أمك؟

العذر الثالث:

أما الثالثة فتقول: (إمكانياتي المادية لا تكفي لاستبدال ملابسي بأخرى شرعية).

أختنا هذه إحدى اثنتين:

إما صادقة مخلصة، وإما كاذبة متملصة تريد حجاباً متبرجاً صارخ الألوان، يجاري موضة العصر غالي الثمن.

نبدأ بأختنا الصادقة المخلصة:

هل تعلمين يا أختاه أن المرأة المسلمة لا يجوز لها الخروج من المنزل بأي حال من الأحوال حتى يستوفي لباسها الشروط المعتبرة في الحجاب الشرعي والتي من الواجب على كل مسلمة معرفتها.

وإذا كنت تتعلمين أمور الدنيا فكيف لا تتعلمين الأمور التي تنجيك من عذاب الله وغضبه بعد الموت....؟! ألم يقل الله تعالى:﴿ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[النحل:43]، فتعلمي يا أختي شروط الحجاب.

فإذا كان لا بد من خروجك فلا تخرجي إلا بالحجاب الشرعي، إرضاءً للرحمن، وإذلالاً للشيطان، وذلك لأن مفسدة خروجك سافرة متبرجة أكبر من مصلحة خروجك للضرورة.

يا أختي لو صدقت نيتك وصحت عزيمتك لامتدت إليك ألف يد خيرة ولسهل الله تعالى لك الأمور، أليس هو القائل: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[الطلاق:2،3].

أما أختنا المتملصة، فلها نقول:

الكرامة وسمو القدر عند الله تعالى لا تكون بزركشه الثياب وبهرجة الألوان ومجاراة أهل العصر، وإنما تكون بطاعة الله ورسوله ﷺ والالتزام بالشريعة الطاهرة والحجاب الإسلامي الصحيح، واسمعي قول الله تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[الحجرات:13].

خلاصة الأمر: في سبيل رضوان الله تعالى ودخول جنته: يهون كل غال ونفيس من نفس أو مال.

العذر الرابع:

جاء دور الرابعة، فقالت: (الجو حار في بلادي وأنا لا أتحمله، فكيف إذا لبست الحجاب).

لمثل هذه يقول الله تعالى: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾[التوبة:81].

كيف تقارنين حر بلادك بحر نار جهنم.

اعلمي - أختي الكريمة - أن الشيطان قد اصطادك بإحدى حبائله الواهية، ليخرجك من حر الدنيا إلى نار جهنم، فأنقذي نفسك من شباكه، واجعلي من حر الشمس نعمة لا نقمة، إذ هو يذكرك بشدة عذاب الله

تعالى الذي يفوق هذا الحر أضعافاً مضاعفة، عندها ترجعين إلى أمر اللـه وتضحين براحة الدنيا في سبيل النجاة مـن النـار، الـتي قـال تعـالى عـن أهلها: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَـا بَـرْداً وَلَا شَـرَاباً (24) إِلَّا حَمِيمـاً وَغَسَّـاقاً ﴾[النبـأ: 25،24].

خلاصة الأمر: حفّت الجنة بالمكاره، وحفّت النار بالشهوات.

العذر الخامس:

لنستمع الآن إلى عذر الخامسة، حيـث قـالت: (أخـاف إذا الـتزمت بالحجاب أن أخلعه مرة أخرى،فقد رأيت كثيرات يفعلن ذلك !!).

وإليها أقول: لو كان كل الناس يفكرون بمنطقك هذا لـتركوا الـدين جملةً وتفصيلاً، ولتركوا الصلاة، لأن بعضهم يخاف تركها، ولتركوا الصـيام لأن كثيرين يخافون من تركه... إلخ... أرأيت كيف نصب الشيطان حبـائله مرة أخرى فصدك عن الهدى؟

والله تعالى يحب استمرار الطاعة حـتى ولـو كـانت قليلـة أو كـانت مستحبة، فكيف إذا كان واجباً مفروضاً مثل الحجاب؟!

قال ﷺ: { أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل }.. لماذا لم تبحثي عن الأسباب التي أدّت بهؤلاء إلى تـرك الحجـاب حـتى تجتنبيهـا وتعملـي على تفاديها؟

لماذا لم تبحثي عن أسباب الثبات على الهداية والحق حتى تلـتزمي بها؟

فمن تلك الأسباب: الإكثار من الدعاء بثبات القلب على الـدين كمـا كان يفعل النبي ﷺ، وكذلك: الصلاة والخشوع، قـال تعـالى: ﴿وَاسْـتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾[البقرة:45].

ومنها: الالتزام بكل شرائع الإسلام ومنها: الحجـاب - قـال تعـالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً ﴾[النساء:66].

خلاصة الأمر: لو تمسكت بأسباب الهداية وذُقت حلاوة الإيمـان لمـا تركت أوامر الله تعالى بعد أن تلتزمي بها.

العذر السادس:

الآن هاهي ذات السادسة، فما قولها؟ قالت: (قيل لـي: إذا لبسـت الحجاب فلن يتزوجك أحد لذلك سأترك هذا الأمر حتى أتزوج).

إن زوجاً يريدك سافرة متبرجة عاصية لله هـو زوج غيـر جـدير بـك، زوج لا يغار على محارم الله، ولا يغار عليك، ولا يعينك على دخول الجنـة والنجاة من النار.

إن بيتاً بني من أساسه على معصية اللـه وإغضـابه حـق علـى اللـه تعالى أن يكتب له الشقاء فـي الـدنيا والآخـرة، كمـا قـال تعـالى: ﴿وَمَـنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَـةً ضَـنكاً وَنَحْشُـرُهُ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ أَعْمَـى ﴾ [طه:124].

وبعد، فإن الزواج نعمة من الله يعطيها من يشاء، فكم من متحجبـة تزوجت، وكم من سافرة لم تـتزوج.وإذا قلـت: إن تـبرجي وسـفوري هـو وسيلة لغاية طاهرة، ألا وهي الزواج، فإن الغاية الطاهرة لا تبيح الوسيلة الفاجرة في الإسلام، فإذا شرفت الغاية فلابد مـن طهـارة الوسـيلة، لأن قاعدة الإسلام تقول: (الوسائل لها حكم المقاصد).

خلاصة الأمر: لا بارك الله في زواج قام على المعصية والفجور.

العذر السابع:

وما قولك أيتها السابعة؟ قالت: (لا أتحجب عملاً بقول اللـه تعـالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾[الضحى:11]، فكيـف أخفـي مـا أنعـم اللـه بـه علي من شعر ناعم وجمال فاتن؟).

أختنا هذه تلتزم بكتاب اللـه وأوامـره مـادامت هـذه الأوامـر توافـق هواها وفهمها، وتترك هذه الأوامر نفسها حين، لا تعجبهـا، وإلا فلمـاذا لـم تلـتزم بقـوله تعـالى: ﴿وَلَا يُبْـدِينَ زِينَتَهُـنَّ إِلَّا مَـا ظَهَـرَ مِنْهَـا ﴾[النـور:31]، وبقوله سبحانه: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ﴾[الأحزاب:59].

فأنت بقولك هذا يا أختاه؟! تكونين قد شرعت لنفسك ما نهى اللـه تعالى عنه، وهو التبرج والسفور، والسبب: عدم رغبتك في الالتزام.

إن أكبر نعمة أنعم الله بها علينا هي نعمة الإيمـان والهدايـة، فلمـاذا لم تظهري وتتحدثي بأكبر النعم التي أنعم الله بها عليـك ومنهـا الحجـاب الشرعي؟

خلاصة الأمر: هل هناك نعمة أكبر للمرأة من الهداية والحجاب؟

العذر الثامن:

نأتي إلى أختنـا الثامنـة، الـتي تقـول: (أعـرف أن الحجـاب واجـب، ولكنني سألتزم به عندما يهديني الله).

نسأل هذه الأخت عن الخطوات التي اتخذتها حتى تنال هذه الهداية الربانية؟

فنحن نعرف أن الله تعالى قد جعل بحكمته لكل شيء سبباً، فكـان من ذلك أن المريض يتناول الدواء كي يشفى، والمسافر يركب العربة أو الدابة حتى يصل غايته، والأمثله لا حصر لها.

فهل سعت أختنا هذه جادة في طلب الهداية، وبـذلت أسـبابها: مـن دعاء الله تعالى مخلصة، كما قال تعالى: ﴿اهدِنَـــا الصِّـرَاطَ المُسـتَقِيمَ ﴾

[الفاتحة:6].ومجالسة الصالحات، فإنهن خير معين على الهداية والاستمرار فيها، حتى يهديها الله تعالى، ويزيدها هدى، ويلهمها رشدها وتقواها، فتلتزم بأوامره تعالى وتلبس الحجاب الذي أمر به المؤمنات؟

خلاصة الأمر: لو كانت هذه الأخت جادة في طلب الهداية لبذلت أسبابها فنالتها.

العذر التاسع:

وما قول أختنا التاسعة؟ قالت: (الوقت لم يحن بعد وأنا مازلت صغيرة على الحجاب، وسألتزم بالحجاب بعد أن أكبر وبعد أن أحج).

ملك الموت، أيتها الأخت، زائر يقف على بابك ينتظر أمر الله تعالى حتى يفتحه عليك في أي لحظة من لحظات عمرك.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف:34].

الموت يا أختاه لا يعرف صغيرة ولا كبيرة، وربما جاء لك وأنت مقيمة على هذه المعصية العظيمة تحاربين رب العزة بسفورك وتبرجك.

يا أختاه سابقي إلى الطاعة مع المسابقين، استجابة لدعوة الله تبارك وتعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالْأَرْضِ ﴾[الحديد:21].

يا أختاه لا تنسي الله تعالى فينساك، بأن يصرف عنك رحمته في الدنيا والآخرة، وينسيك نفسك، فلا تعطيها حقها من طاعة الله وعبادته.. قال تعالى عن المنافقين: ﴿نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾[التوبة:67].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[الحشر:19].

أختاه: ابتعدي ولو كنت في هذا السن عن فعل كل المعاصي ومنها تركك للحجاب، لأن الله شديد العقاب سائلك يوم القيامة عن شبابك وكل لحظات عمرك.

خلاصة الأمر: ما أطول الأمل !! كيف تضمنين الحياة إلى الغد؟

العذر العاشر:

وأخيراً قالت العاشرة: (أخشى إن التزمت بالزي الشرعي أن يطلق علي اسم جماعة معينة وأنا أكره التحزب).أختاه في الإسلام: إن في الإسلام حزبين فقط لا غير، ذكرهما الله العظيم في كتابه الكريم: الحزب الأول: هو حزب الله، الذي ينصره الله تعالى بطاعة أوامره واجتناب معاصيه، والحزب الثاني: هو حزب الشيطان الرجيم، الذي يعصي الرحمن، ويكثر في الأرض الفساد، وأنت حين تلتزمين أوامر الله ومن بينها الحجاب تصيرين مع حزب الله المفلحين، وحين تتبرجين

وتبدين مفاتنك تركبين سفينة الشيطان وأوليائه مـن المنـافقين والكفـار، وبئس أولئك رفيقا.

أرأيـت كيـف تفريـن مـن اللـه إلـى الشـيطان، وتسـتبدلين الخـبيث بالطيب ففري يا أختي إلى الله، وطبقي شرائعه، ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[الذاريات:50].

فالحجـــاب عبـــادة ســـامية لا تخضـــع لآراء النـــاس وتوجيهـــاتهم واختياراتهم؛ لأن الذي شرعها هو الخالق الحكيم.

خلاصة الأمر: في سـبيل إرضـاء اللـه تعـالى ورجـاء رحمتـه والفـوز بجنته: اضربي بأقوال شياطين الإنس والجن عرض الحائط، وعضي على الشــرع بالنواجــذ واقتــدي بأمهــات المــؤمنين والصــحابيات العالمــات المجاهدات.

خا تمة:

الآن يا أختاه أحدثك حديث الصراحة:

جسدك معروض في سوق الشيطان، يغوي قلـوب العبـاد: خصـلات شعر بادية، ملابس ضيقة تظهر ثنايا جسمك، ملابس قصيرة تبين ساقيك وقـدميك، ملابـس مبهرجـة مزركشـة معطـرة تغضـب الرحمـن وترضـي الشيطان.. كل يوم يمضي عليك بهذه الحال يزيـدك مـن اللـه بعـد ومـن الشيطان قربا، كـل يـوم تنصـب عليـك لعنـة مـن السـماء وغضـب حـتى تتوبي، كل يوم تقتربين من القبر ويستعد ملك الموت لقبض روحك: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُـورَكُمْ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ فَمَـن زُحْـزِحَ عَـنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾[آل عمران: 185].

اركبي - يا أختاه - قطار التوبة قبل أن يرحل عن محطتك.

تأملي - يا أختاه - في هذا العرض اليوم قبل الغد.

فكري فيه - يا أختاه - الآن وقبل فوات الأوان.